جامعة البعث
كلية الآداب و العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ
د. محسن يوسف محمد

المحاضرة الثالثة

(تتمة للمحاضرة الثانية)

٣- معركة جاوجميلا (تشرين الأول ٣٣١ ق.م):

في تموز من العام ٣٣١ ق.م لحق الإسكندر بقائده بارمينيون الذي كان يرابط على ضفة الفرات الغربية، وعبر الفرات ثم دجلة بدون مقاومة، ثم اتجه صوب قرية صغيرة تدعى جاوجميلا (موقع تل جومل على بعد حوالي ٥٠ من شمالي آربيل) حيث كان (دارا) قد عسكر على مقربة منها، ووقع اختياره على هذا المكان لأنه كان سهلاً فسيحاً ومناسباً لحركات خيالته العديدة.

وفي ليل اليوم الرابع من أيام تشرين الأول عام ٣٣١ق.م، بدأت المعركة وكان النصر فيها للمرة الثالثة مديناً لعبقرية الإسكندر في التعبئة وتحركه في ساحة القتال.

وبعد نهاية هذه المعركة وهزيمة دارا، زحف الإسكندر على بابل حيث استسلم له (مازايوس) الذي كان قائداً بارعاً في معركة جاوجميلا وأكرمه الإسكندر وعينه والياً على بابل.

وبعد ذلك تابع الإسكندر تقدمه نحو سوسة على بعد (٢٣ كم) من مدينة (ديزقول) المعاصرة، حيث عين عليها والياً فارسياً آخر، وأسكن أسرة (دارا) ثم سارع صوب برسبوليس واستولى عليها، وأحرق فيها قصر أكسركس، وأراد من ذلك أن يكون هذا العمل عبرة لآسيا وإيذاناً بأنه تم الأخذ بثأر المعبد البابلي العظيم الذي خرّبه أكسركس قبل حوالي قرنين من الزمن.

وعندما علم الإسكندر بأن (دارا) يعد العدة لمتابعة القتال في إكباتانا، وكان قد فر إليها بعد معركة جاوجميلا، أسرع لملاقاته قبل أن يتم استعداداته، ولكن بعد عشرة أشهر تآمر قادة (دارا) عليه بعد يأسهم من قتال الإسكندر واغتالوه بزعامة بارسانتس، قرب قرية شيرود (تموز سنة ٣٣٠ق.م) الواقعة جنوب شرقي بحر قزوين، وكان الإسكندر آنذاك جاداً في طلبه، إلا أنه لما وصل إليه كان (دارا) ملك ملوك فارس ملقى في عربته جثة هامدة ومضرجاً بدمائه، فوقف الإسكندر خاشعاً يتأمله، ثم خلع رداءه ولفّه به، وأمر أن يُجهز ويُسلّم إلى والدته، ليدفن في مدافن برسبوليس الملكية على الطريقة الفارسية وبالأبهة اللائقة بعاهل الفرس من خلال احتفال ملكي مهيب.

٤- معركة الهيداسيبس (تموز – يوليو ٣٢٦ق.م):

في بداية صيف العام ٣٢٧ق.م، خرج الإسكندر من مدينة باكترية، واستطاع في فترة وجيزة بما أوتي من روح معنوية عالية وكفاية حربية ومهارة دبلوماسية، اكتساح معظم الأقاليم المتاخمة لمملكة باورافا شمال غربي الهند، وكان ملكها بوروس قد تحالف مع بعض الحكام المجاورين، وبعد أن أعاد الإسكندر تنظيم فرسانه، فاجأ غريمه بوروس الذي عسكر على الضفة الشمالية من نهر الهيداسيبس ودامت المعركة ثماني ساعات، وكانت أقسى معارك الإسكندر وأكثرها ضراوة وعدداً من الضحايا.

ولكن الإسكندر استطاع أن ينتزع النصر بفضل خيالته الجيدة وصمود الكتائب المقدونية الرائع، بالرغم من أن بوروس استبسل في المعركة استبسالاً منقطع النظير، ووجود عدد كبير من الفيلة معه التي لم يكن جيش الإسكندر قد أجاد أساليب مقارعتها بعد، وعندما تقابل الملكان، المنتصر والمنكسر بعد القتال، سأل الإسكندر بوروس: ماذا تريد أن أصنع بك؟ فأجابه بوروس بإباء (أن تعاملني كملك) فرد عليه الإسكندر، وقد أعجبته عزة نفسه (أردت أن تُعامل كملك، فلتبق لك مملكتك). وبعد ذلك أصبح بوروس حليف الإسكندر وحاكماً وطنياً يتمتع بقسط من الرعاية والحماية، وساعد الإسكندر في طريقه باتجاه نهر السند، حيث أكمل إخضاع الأراضي الواقعة بين (الهيفاس) و(الهيداسبس) من روافد نهر السند.

سادساً: أعمال الإسكندر بعد نهاية الحملة و وفاته.

– أنفذ الإسكندر المقدوني بعثة استكشافية علمية للتأكد من أي النظريتين أصح: نظرية أرسطو القائلة بأن بحر قزوين لم يكن إلا بحيرة كبيرة، أم النظرية القديمة القائلة بأن هذا البحر ليس إلا خليجاً ناتئاً من المحيط.

– أنفذ الإسكندر المقدوني بعثات لاستطلاع سواحل الجزيرة العربية، ووضع مخططاته الحربية لغزو الجزيرة العربية.

غير أن تعرّضه للظروف القاسية وإدمانه الشراب ومؤامرات ضباطه وتمرد جنوده، أضعفت بنيته القوية وأوهنت قوته النفسية. هذه الظروف القاسية دفعته لأن يكثر من الشراب محاولاً دفن أشجانه في الخمور، وبينما كان يشرب مع ضباطه ذات ليلة إذ عرض عليهم أن يتباروا في شرب الخمر، فتجرّع (برامكس) وهو أحد ضباطه نحو ثلاثة جالونات وفاز بالجائزة وهي وزنة من الذهب، ومات بعد ثلاثة أيام. وأقيمت مأدبة أخرى بعد أيام قلائل شرب فيها الإسكندر خابية تحتوي جالون ونصفاً من الخمر، وعاد في الليلة التالية إلى الشراب، فاشتد عليه البرد فجأة وأصيب بالحمى وآوى إلى فراشه، ولم تفارقه الحمى عشرة أيام كاملة ظل في أثناءها يصدر الأوامر إلى الجيش والأسطول ولم ينقطع عن إقامة الشعائر الدينية، وتوفي صباح يوم (١٣ حزيران (يونيو) سنة ٣٢٣ق.م)، ويكون الإسكندر بذلك عاش اثنتين وثلاثين سنة وثمانية أشهر، وحكم اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر، فحُنط وأقيم له مأتم لم يعرف العالم له نظيراً وقيل فيه ما لم يقل في أحد.

وحدث تنافس بين قواد الإسكندر لاحتواء جثته، وتمكن بطليموس في آخر الأمر من توجيه الموكب إلى ممفيس حيث بقي الجثمان مؤقتاً إلى أن أتم تشييد ضريح لائق به فنُقل الإسكندر، وقد ظل التابوت والجثمان محفوظين إلى زمن الإمبراطور الروماني إسكندر سايروس (٢١١ بعد الميلاد) ثم فُقد أثرهما، ويذهب عالم الآثار فريزر عام ١٩٧٢م، إلى أن كل التنقيبات عن جثمان الإسكندر باءت بالفشل، ويسود رأي اليوم بين بعض علماء الآثار –ولكنه غير مؤكد – أن قبر الإسكندر قائم تحت جامع النبي دانيال في الإسكندرية، لذلك يصعب التنقيب عنه.

أما أرسطو أستاذ الإسكندر الذي كان مشرفاً على (اللوقيون)، فترك أثينا وهو يقول، وترك إدارة (اللوقيون) إلى تلميذه (ثيوفراستوس)، وقصد هو مدينة (خالكيس) في جزيرة يوبوية مسقط رأس والدته، وهناك أخذ يتم ما أمكنه من مؤلفاته، و قضى نحبه بعد بضعه أشهر من مغادرته أثينا، أي في نفس السنة المشؤومة بموت الإسكندر، وكان ذلك في شهر (آب (أغسطس) ٣٢٣ق.م) بداء مزمن في معدته، وكان قد أتم الثانية والستين من عمره.

سابعاً: نتائج حملة الإسكندر على العصر الهللينستي:

١- حطمت الإمبراطوريات الواسعة التي كانت تعترض سبل الاتصال والانتشار والتجارة من حواجز سياسية.

٢- أدت الفتوحات المقدونية دوراً كبيراً في ترسيخ الاستقرار الاقتصادي والنظام السياسي، بأن حطمت ما أقامته الحكومات أو اللغات من حواجز بين الأمم، و بلغت المهن الصناعية، درجة عظيمة من التخصص.

٣- أدّت إلى ظهور مدن الجديدة مثل الإسكندرية و أنطاكية في سورية و الإسكندرية في مصر و غيرها.

٤- أدّت دوراً حاسماً في عودة الحضارة اليونانية إلى مواطنها الآسيوية القديمة، و أنقذت الحضارة اليونانية برمتها من الضياع والتلف.

انتهت المحاضرة الثالثة

المحاضرة الرابعة

الإمبراطورية السلوقية(سياسياً و حضارياً)

أولاً: الملك سلوقس الأول (أصله و مصاهراته):

– وُلد سلوقس الأول في (يوروبوس) في مقدونيا وهو ابن (لاوديكي وأنطيوخس)، و كان قائداً مشهوراً في جيش فيليب والد الإسكندر.

– تصفه المصادر بأنه كان أحد رفقاء الإسكندر الذي أُسند إليه قيادة فرقة (الفرسان الرفقاء) التي تتألف من نبلاء مقدونيا.

– عقد سلوقس خلال حياته زيجتين كانت أولاهما من **(أباما)** الفارسية، وثانيهما من الأميرة المقدونية **(استراتونيكي)** ابنة دمتريوس.

ثانياً: تكوين التحالف الرباعي و معركة غزّة ٣١٢ ق.م:

– لعل أهم المعارك على الإطلاق التي شارك فيها سلوقس بوصفه حليفاً لبطليموس كانت **معركة غزة.**

– أهمية معركة غزة عام ٣١٢ ق.م:

– تُعدّ واحدة من أعظم معارك العصر القديم.

– انتصر فيها الحلف الرباعي و هزم فيها دمتريوس بن أنتيجونوس.

– قلبت نتائج معركة غزة موازين القوى في المنطقة وخاصة بالنسبة لانتجونوس الذي فقد سوريا، كما اضطر إلى وقف عملياته تجاه مقدونيا، وتعديل كل خطط عملياته المقبلة، فكانت بحق أقصى صدمة وجهت إليه منذ بداية الحرب العظمى بين الحلفاء،

– كانت فاتحة لبروز سلوقس الذي غدا أعظم منافس لأنتيجونوس و الذي تمت على يديه نهايته المفجعة.

– استغل سلوقس نتائج المعركة، واتجه بصحبة نفر قليل من الرجال وبتأييد من بطليموس لاستعادة ولايته السابقة بابل. وفي طريقه قامت بعض الحاميات المقدونية الساخطة على أنتيجونوس بالانضمام

إليه، وبهذا الدعم العسكري، ونتيجة للتأييد الشعبي الذي قوبل به سلوقس في منطقة بابل تمكن سلوقس بعد حصار قلعة بابل التي تحصّن فيها أنصار أنتيجونوس من السيطرة على بابل مرة أخرى، وفيما بعد أعلن سلوقس هذا اليوم بالذات (أول ديوس = أكتوبر/ تشرين الأول) عام ٣١٢ ق.م امبراطوريته وبداية للتقويم السلوقي.

بناءً على ذلك كلّه لا عجب أن تُعدّ معركة غزة في رأي بعض المؤرخين من أهم معارك التاريخ القديم.

نظم الحكم في الدولة السلوقية

أولاً: سلطة الملك:

– بما أنّ سلوقس قد اكتسب كل ممتلكاته بحد السيف وكان حق الفتح يكسب الفاتح حقوقاً مطلقة على الأقاليم التي فتحها، لذلك فإنّ سلوقس اعتبر نفسه صاحب البلاد التي فتحها وسيد رعيته المطلق الذي تتركز بين يديه جميع السلطات وذلك بحق الفتح فضلاً عن حق الإرث عن الإسكندر.

– تأكد هذا المفهوم بمقتضى الانتصارات التي حققها مؤسس الدولة سلوقس الأول في ميدان القتال. وفي أعقاب معركة (إبسوس) (موقعة الملوك) تحدث سلوقس قائلاً (من العدل أن يتصرف المنتصر في الغنائم التي يحصل عليها من المهزوم كيفما يشاء)، كما أضاف الملك أنطيوخس الرابع إلى هذه المفهوم قائلاً: (أن أكثر الحقوق قداسة ورسوخاً، هو ذلك الحق المكتسب في أعقاب تحقيق النصر في الحرب).

– كان السلوقيون في نظر رعاياهم من الشرقيين هم سادة البلاد، وخلفاء الملوك المحليين.

– كان الخاتم الرسمي لأنطيوخس الأول على سبيل المثال يتضمن ألقاباً ، مثل الملك الكبير، الملك القادر، ملك العالم، ملك البلاد، وملك بابل.

– كان يُنظر إلى الملوك السلوقيين على أنهم الورثة الشرعيون لملوك بابل القدامى، و استمدوا سلطتهم شأنهم في ذلك شأن الإسكندر الكبير، من الإلهين بعل ومردوك.

– كان الملك هو محور الدولة، والقانون يتجسد في شخصه، لأن العدالة تلازمه في جميع أعماله، وعندما تنازل سلوقس الأول عن زوجته أستراتونيكي لابنه أنطيوخس، على الرغم من أنه كان قد أنجب

منها بنتاً، فإنه برر هذا السلوك الغريب في خطبة له أمام جنوده عندما قال (إن هذا الأمر غير مألوف لدى الفرس، وكذلك بالنسبة للآخرين، ولكن ما يفعله الملوك هو الحق).

– لم يدّخر السلوقيون وسعاً لإضفاء المزيد من الشرعية على حكمهم، وذلك من خلال الادعاء بانتسابهم إلى الآلهة. فذكر سلوقس الأول أنه ينحدر من الإله أبوللون، كما اقتفى خطوات الإسكندر الأكبر حين ادعى انتسابه إلى الإله زيوس.

– إزاء اتساع رقعة الإمبراطورية السلوقية، حذا ملوكها حذو الإسكندر في إتباع الطريقة الفارسية في الإدارة وهي التي كان قوامها تقسيم الإمبراطورية إلى عدد من الوحدات الإدارية تماثلت أحياناً واختلفت أحياناً أخرى نظم حكمها المحلية، وكذلك مدى خضوعها للسلطة المركزية.

– بسبب بعد المسافة بين كثير من هذه الوحدات ومقر السلطة المركزية، فإنه كان طبيعياً ألا يتمتع الملك الحاكم بسلطته المطلقة على كل أنحاء الإمبراطورية، بل ألا تكون سيطرته على بعض أجزائها أكثر من سيطرة اسميّة، وأن تعاني الدولة السلوقية، مثلما عانت الإمبراطورية الفارسية من عوامل الافتقار إلى الترابط والتلاحم.

ثالثاً: رجال البلاط وألقابهم الفخرية:

– كان من سمات الأنظمة الملكية في كل العصور وجود حاشية في قصر الملك يحمل أفرادها ألقاباً فخرية متباينة في المرتبة. فكان الملك يختار بعض المقربين لمرافقته حتى قبل أن يصبح ملكاً، وكان هؤلاء يحملون لقب **الأصدقاء.**

– جرت العادة يرفع الملك الكلفة بينه وبينهم إذ كانوا يلازمونه كظله. وتثبت مجموعة من النقوش والمصادر الأدبية، أن كل ملك جديد كان بإمكانه الاحتفاظ بأصدقاء سلفه أو والده أو التخلص منهم. ولا يصبحون في عداد الأصدقاء إلا بمبايعة جديدة من الملك الجديد.

– تفاوت هؤلاء الأصدقاء في مراتبهم تصاعدياً على النحو التالي:

الأصدقاء. والأصدقاء المشرفين. والأصدقاء الأول. أقارب الملك.

– تتقدّم فئة أقارب الملك جميع رُتب الأصدقاء بجميع تقسيماتها.

– و يبدو أن لقب القريب كان يطلق على الأرجح على الذين يشرفون على تربية الملك أو يتربون معه. ولم يكن بالضرورة ارتباط هؤلاء بأي رابط أسروي أو عائلي.

– يتميز الأصدقاء عادة بارتداء القبعة المقدونية ذات الأطراف العريضة والمصبوغة بالقرمز، إضافة إلى الأردية القرمزية.

– كما هو بالنسبة للأصدقاء، كان رداء القريب قرمزياً، ويتميز بأن القريب كان يشبك رداءه أو عباءته بواسطة دبوس ذهبي، ويبدو أن هذا الدبوس كان هدية من الملك.

– يُضيف كتاب المكابيين الأول بأن الأقرباء كانوا يتلقون تكريماً آخر بالسماح لهم بالشرب من الكؤوس الذهبية. وهو أمر تعدّه المصادر القديمة ضمن سلسلة الامتيازات الممنوحة للأقارب والتي يمكن إجمالها في (ارتداء الأردية القرمزية وحقوق الشرب في كؤوس ذهبية، والتحلي بالسلاسل والأساور الذهبية والنوم في الأسرة الذهبية، وربط الرأس بالعصابة القرمزية).

– تعيد بعض المصادر القديمة أصول هذه الامتيازات الممنوحة للأقارب إلى البلاط الفارسي في حين يعيدها البعض الآخر إلى البلاط المقدوني.

– يذكر المُؤرخ اليوناني بوليبيوس، أن الأصدقاء كانوا ألصق رجال الحاشية بالملك يلتقي بهم منذ استيقاظه ويقضي برفقتهم ساعات النهار حتى في الحرب.

– وبما أن الأصدقاء كانوا ينغمسون إلى هذه الدرجة بقضايا صديقهم الملك، فقد كان من الطبيعي أن يؤلفوا مجلس أركان حربه في المعارك و يُشاورهم في القضايا المهمة، ففي أحد المراسيم التي أعلنها الملك أنطيوخس الرابع وردت عبارة (بعد أن تداولنا مع أصدقاءنا قررنا)، ويبدو من خلال ذلك أن أهمية الأصدقاء كانت تنبع من أن الملك اختار هؤلاء بمحض إرادته، وذلك من أجل سدّ حاجة الملك إلى مستشارين وناصحين وخبراء في أمر من أمور الدولة أو الحياة الخاصة.

رابعاً: مساعدو الملك:

– أوجد سلوقس عند تأسيس امبراطوريته، حاشية اصطفى أفرادها من الرجال المقربين لمساعدته في إدارة شؤون الدولة، وقد أطلق على مجموع هؤلاء الرجال **(المحيطون بالقصر)**، و انقسم هؤلاء بينهم إلى ثلاث فئات:

أولها: **رجال الحاشية الملكية** ويأتي في مقدمة هؤلاء موظف لقبة (هوايي تون براجماتون) ويعني (القائم على شؤون المملكة)، مما يدل على أنه كان كبير الوزراء أو الوزير الأكبر، ويتربع على قمة التنظيم الإداري.

– ويليه في الأهمية موظف لقبه (أبيستولوجرافوس) ويعني (القائم على شؤون المراسلات) ويعتقد بعض المؤرخين، أن مهمة هذا الموظف كانت بالإضافة إلى تسيير أمور الدولة الخارجية والمقاطعات البعيدة، الإشراف على شؤون الدولة القضائية،

ثانياً **الأصدقاء.**

ثالثاً: **أفراد اللوازم والخدمة.**

وإلى جانب هذه الفئات والشخصيات الرسمية، كان قصر الملك السلوقي يضم أعداداً من الخليلات والظرفاء والندماء والممثلين والراقصين والموسيقيين والطفيليين الذين كانوا يعملون على تسلية رجال القصر في أوقات فراغهم.

سادساً: اللباس:

– كان الملك السلوقي يرتدي في معظم ساعات يومه زياً رسمياً خاصاً ارتداه جميع خلفاء الإسكندر وهو الزي المقدوني.

– يذهب بعض المؤرخين إلى أنّ الملك السلوقي كان يرتدي ذلك الزيّ فقط في حالات الصيد والحرب.

– اعتمد الملوك السلوقيون في ملابسهم اللون القرمزي لوناً ملكيا.

– أحاط الملوك السلوقيون جباههم في أوقات السلم بعصابة عُرفت باسمها الفارسي وهو **الديابديما.**

– **الديباديما** هي عبارة عن قطعة قماش زرقاء عليها نقاط بيضاء، اعتمدها الإسكندر كلباس رأس بعد انتصاره على داريوس رمزاً للملكية، وتابعه خلفاؤه من بعده)، و كانوا يعصبونها على شعورهم مباشرة أو يربطونها فوق قبعاتهم وخوذهم في فترة الحرب.

– كان الرمزين (اللون القرمزي و الديباديما) يشيران بوضوح إلى شخص الملك، ولكن مع ذلك تشير بعض الشواهد إلى أن الملك تنازل في بعض المناسبات عن احتكار اللون القرمزي ومنح حق ارتدائه إلى أفراد حاشيته مع استبقاء احتكار الديباديما التي ظلت الشعار الخاص للملكية السلوقية ورمزها.

– يلي الرداء القرمزي و الديباديما في الأهمية الملكية (الخاتم الملكي) الذي تذكر المصادر أنه كان يحمل دائماً نقش (المرساة) رمز سلوقس وسلالته، ويبدو أن هذا الثالوث كان مهماً جداً في كسوة الملك وخاصة حين يظهر أمام الجماهير، لدرجة أن أنطيوخس الرابع أثار استياء الأوساط المحافظة في مدينة أنطاكية عندما كان يجوب شوارع عاصمته بعباءة رومانية وتاج من الأزهار.

سابعاً: القصر:

– كان الملوك السلوقيون يُقيمون في قصر في العاصمة أنطاكية يُطلق عليه، منها (أولي)، أو (توباسيليون).

– لم تحتكر العاصمة وجود القصور بل تعدتها إلى معظم العواصم الإقليمية تقريباً، إذ تذكر المصادر قصوراً ملكية في (ساردیس) في آسيا الصغرى وفي سلوقية دجلة وفي (سوسة).

ثامناً: اللغة الرسمية:

– كانت اللغة اليونانية هي لغة البلاط السلوقي، واللغة الرسمية للدولة بشكل عام، ولم يقدم سلوقس وخلفاؤه على استخدام أية لغة أخرى في شؤون الدولة إلى جانب اليونانية مثلما استخدم البطالمة اللغة المصرية القديمة في اللوائح والقوانين والقرارات وخاصة ما كان منها متعلقاً بشؤون الضرائب.

تاسعاً: القوة العسكرية:

١- عناصر الجيش السلوقي:

أ- العنصر المقدوني.

ب- العنصر اليوناني.

جـ- العنصر الفارسي.

٢- تشكيل الجيش السلوقيّ:

- تألف الجيش السلوقي من تشكيل رئيس هو **الفيلق أو الفالانكس** وتشكيل آخر هو فرق **الرفاق المشاة.**

- شكّل **الكريتيون** نوعاً متميزاً من حملة الدروع غير المعدنية، وكوّنوا أحد عناصر الجيش السلوقي الهامة نتيجة براعتهم في استخدام أقواسهم ونشابهم وخاصة في حرب الجبال.

- احتلت **كتائب الفرسان** مرتبة أعلى شأناً من المشاة ووصفت بأنها صفوة الفرسان، وكانت فرقة الخيالة الملكيين تحيط بالملك أثناء المعركة فمن المحتمل أنها اعتبرت (صفوة الصفوة) أي صفوة كتائب الفرسان الرفقاء.

- شكلت **فرق الفيلة** عاملاً هاماً من عوامل قوة الجيوش السلوقية، التي كانوا يؤمنونها باستمرار من شبه القارة الهندية بحكم التجاور الجغرافي والعلاقات الوثيقة بين الإمبراطورية والهند، وقد علّق السلوقيون آمالاً كبيرة على أهمية الفيلة وينهض دليلاً على ذلك أنها رُسمت على عدد كبير من نقودهم منذ سلوقس الأول.

- لم يستمر استخدام السلوقيين للفيلة كثيراً بعد موقعة ماغينيزيه عام ١٨٩ ق.م ذلك لأن أحد بنود معاهدة أبامية قد حرّمت عليهم أن تضم جيوشهم فرقاً من الفيلة، ولم ترد أي إشارة في المصادر إلى الفيلة في الجيش السلوقي بعد العام العام ١٣٨ ق.م.

انتهت المحاضرة الرابعة

المحاضرة الخامسة

التجارة في الدولة السلوقية

أولاً- أهمية التجارة الشرقية في الدولة السلوقية:

- اكتسبت التجارة الشرقية في العصر السلوقي أهمية كبيرة لعدة عوامل أهمها:

أ- حاجة كل مراكز العالم المتحضر في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى منتجات اليمن و الهند و الشرق الأقصى مثل المواد العطرية و القرفة و التوابل و الحرير.

ب- ازدياد الثروة لدى دول البحر المتوسط، وما صاحب ذلك من ازدياد الإقبال على سلع الترف خلال العصر الهللينستي.

جـ- التحوّل الهام من الاقتصاد العيني إلى الاقتصاد النقدي، وهو التحول الذي جاء نتيجة لفتوحات الإسكندر في الشرق والاستيلاء على كنوز الفرس بما في ذلك أكداس نقودهم الذهبية والفضية.

د- الموقع المتميز الذي كانت تحتله الإمبراطورية السلوقية في قلب العالم القديم، إذ كانت هذه الإمبراطورية مؤهلة بحكم موقعها لأن تؤدي دور الوسيط التجاري بين الشرق و الغرب.

ثانياً- مظاهر اهتمام السلوقيين بالتجارة الشرقية:

١- إنشاء علاقات دبلوماسية مع مع ممالك الهند و لاسيّما مملكة الملك تشاندرا جوبتا.

٢- اجتذاب التجارة الوافدة من الهند ووسط آسيا وبلاد العرب لكي تمر بالمناطق الخاضعة لهم بدلاً من مرورها بمصر.

٣ - إيجاد أسواق في الغرب والشمال تكون قادرة على استيعاب البضائع الوافدة من الشرق، بالإضافة إلى منتجات الإمبراطورية السلوقية. وقد نجحوا في توطيد علاقتهم مع جزيرة رودوس في بحر إيجه،

التي تمكنت من التحرر من هيمنة البطالمة على تجارتها، وأصبحت تستقبل السفن السلوقية بنفس الحرية التي تتعامل بها مع سفن البطالمة.

٤- الاهتمام بالطرق التجارية، فأخذ السلوقيون بإنشاء المدن والمحطات التجارية، لكي يتمكنوا من إحكام سيطرتهم على هذه الطرق.

٥- العمل بكافة الوسائل على إخضاع مدينة الجرهاء لنفوذهم، من خلال وجود أسطول دائم في الخليج العربي، مما يمكنهم في التجارة الشرقية التي تصب في الجرهاء.

٦- تابع السلوقيون خطوات الإسكندر الأكبر، في الاهتمام بإرسال البعثات الاستكشافية، فأرسل سلوقس الأول بعثة لاستكشاف شواطئ بحر قزوين.

النظم المالية في الدولة السلوقية

أولاً: الإدارة المالية أو عمال المالية:

- كانت الإدارة المالية في سوية السلوقية تسمى توباسيليكون وتعني (الملكية) باليونانية.
- احتفظت الخزانة الملكية بالاسم الفارسي جازوفولاكيون ومعناه خزانة الدولة.
- اقتصر وجود الخزانة العامة السلوقية على بعض القلاع الحصينة.
- يأتي الملك السلوقي على قمة الإدارة المالية كنظيره البطلمي في مصر، فهو مالك البلاد ومصدر جميع السلطات فيها، وينوب عنه في رئاسة هذه الإدارة موظف يدعى هوايبي تون بروسودون الذي يرأس بدوره سلسلة من الموظفين الذين يمثلونه في الأقاليم ويحملون في بعض الحالات اللقب نفسه.

– عمل إلى جانب نائب الملك للشؤون المالية مجموعة من المساعدين حمل كل واحد من أفرادها لقباً حمله وزير المالية البطلمي وهو ديويكيتيس وكذلك كان يوجد في الأقاليم موظفون حمل كل منهم لقب الأيكونوموس.

ثانياً– الموارد المالية للدولة السلوقية:

تنقسم الموارد في الإمبراطورية السلوقية مثلها في ذلك مثل أية إمبراطورية من إمبراطوريات العالم القديم إلى قسمين:

القسم الأول هو الموارد النظامية.

القسم الثاني هو الموارد الاستثنائية.

القسم الأول: الموارد المالية النظامية للدولة السلوقية:

الموارد النظامية هي التي كان يمكن للإدارة المالية تقديرها في حالة السلم وتبيان بنودها وكمياتها بشكل أقرب ما يكون إلى الدقة، و اختلفت هذه الموارد ووسائل تحصيلها من مقاطعة لأخرى. و فيما يلي أهمّ الموارد المالية النظامية للدولة السلوقية:

١– الفوروس:

– يأتي الفوروس في مقدمة الرسوم المالية التي كانت تعتمد عليها ميزانية الإمبراطورية السلوقية.

– يُعتبر الفوروس هو المساهمة الأولى التي كانت الوحدات السياسية المرتبطة بالملك السلوقي تُقدمها له.

– يعود فرض الفوروس تاريخياً إلى عهد الملك الفارسي دارا الأول واستمر حتى الفترة الرومانية. وكان الملك ديمتريوس الأول هو أول من أقدم على تطبيق هذا النظام واستمر دون أي تغييرات على امتداد العصر السلوقي كله.

– كان مقدار الفوروس ثابتاً بصرف النظر عن التبدلات السياسية التي تقع، فقد كان حجمها مدوناً في السجلات. وكنت تُدفع إما نقداً، وإما عيناً على غرار ما جرت عليه العادة عند الفرس.

– لم يكن الفوروس مجرد ضريبة فحسب، بل كان أيضاً مساهمة حربية، أو حسب تعبير شيشرون (ثمرة النصر وعقوبة الحرب). ولا شك أنها كانت قبل كل شيء دلالة ملموسة على الخضوع للملك.

القسم الثاني: الموارد المالية الاستثنائية للدولة السلوقية:

– كان لدى الملك السلوقي وسائل متعددة للحصول على السيولة المالية عند الحاجة يُطلق عليها تسمية الموارد الاستثنائية.

– تأتي في مقدمة الموارد الاستثنائية غنائم الحرب والأمثلة عليها كثيرة وأبرزها عندما سيطر الملك أنطيوخس الثالث على ثروة الملك الهندي سوفاجاسينوس. وكذلك عندما اتفق الجرهائيون العرب مع الملك أنطيوخس الثالث على عدم غزو دولتهم مقابل دفع خمسمئة وزنة من الفضة وألف وزنة من البخور ومئتي وزنة من العطور المتنوعة.

ولاشك أن أكبر غنيمة حربية حققها ملوك سورية خلال تاريخهم كانت غنائم أنطيوخس الرابع خلال حملته على مصر /١٦٩ و١٦٨ق.م/ فجاء في الوثائق البردية أن جنود الملك السلوقي قاموا بنهب كل المؤسسات بما فيها المعابد المصرية.

– ضمّت الموارد الاستثنائية أيضاً الأملاك التي تُصادر والغرامات التي تفرض عقاباً لبعض المدن على تصرفات معينة، أو عقاباً لبعض الأشخاص عند الإدانة بتهمة الخيانة. ولعل أشهر هذه الحوادث كانت عندما فرض أنطيوخس الثالث غرامة كبرى على مدينة سلوقية دجلة أثر محاولتها الفاشلة للتمرد والانفصال عن الإمبراطورية.

– من الموارد الاستثنائية أيضاً الكنوز الكبيرة التي ورثها الملوك السلوقيين عن ملوك الفرس وأمراء المقاطعات الآسيوية. ويذكر المُؤرخ بوليبيوس في هذا الصدد أن كنوز العاصمة الفارسية إكباتانا والتي استولى عليها الإسكندر و أنتيجونوس و سلوقس، قد وفرت حتى للملك أنطيوخس الثالث من الذهب والفضة ما مكنه من سك نقود بقيمة أربعة آلاف وزنة.

– من الموارد الاستثنائية قيام الملك السلوقي ببيع الأراضي الملكية. ويبين نقش معاصر أن الملك أنطيوخس الأول باع إلى إحدى مدن آسيا الصغرى وتدعى بيتاني أرضاً بمبلغ ثلاثمئة وخمسين وزنة. كما تؤكد إحدى الرسائل الملكية أن الملك أنطيوخس الثاني باع مطلقته المدعوة (لاوديكي) أرضاً بقيمة ثلاثين وزنة.

ثالثاً: نفقات الإمبراطورية السلوقية:

– كانت أبرز نفقات الإمبراطورية هي نفقات عمليات الاستيطان التي كانت تتم على حساب الواردات العامة.

– من النفقات أيضاً كان الأموال التي كان يقدمها الملوك السلوقيون لإنشاء وصيانة القلاع ومساعدة المعابد التي ترامت في تخوم الإمبراطورية وإنشاء المدن الجديدة وتجديد القديمة وتقديم الهدايا العامة في مناسبات الأعياد إلى أخلص أتباعهم، وتقديم الإعانة السياسية إلى المدن وبعض الجماعات.

– شكّلت تكاليف حروب السلوقيين أكبر النفقات و الأعباء على اقتصاد الإمبراطورية فكلفت مثلاً حرب أنطيوخس الثالث مع الرومان عام ١٩٠ ق.م مبلغ ٨٠٠٠ تالانت.

رابعاً: النقود السلوقية:

– كان حق سك النقود من اختصاص السلطة المطلقة، وكانت العملة السلوقية تُسك دائماً باسم الملك الحاكم أو أنها تتبع له. وعلى هذا الأساس كانت العملات المتداولة هي عملات الدولة التي تبسط سلطتها على المنطقة.

– كان حق سك النقود كان من أخص سمات السيادة، ولا يمارسه من حيث المبدأ إلا الملك بوصفه السيد الأعلى لجميع رعاياه، ومع ذلك فإن الملك كان يمنح هذا الحق لبعض المدن والمجتمعات، غير أن هذه المدن والمجتمعات كانت تلتزم بأن تضع على نقودها اسم العاهل المتربع على عرش الإمبراطورية دلالة على الاعتراف بسيادته.

– سكّ السلوقيون نقودهم من الذهب والفضة والنحاس.

– كانت إصدارات النقود الذهبية غنية في مستهل الفترة السلوقية وذلك بفضل الكنوز الفارسية التي خلّفها الإسكندر بين أيدي قواده بعد وفاته، والتي كانت تُسك أصلاً في الفترتين الفارسية وأوائل الهللينستية لتمويل التجارة مع الهند.

– أدى فقدان السلوقيين لسيطرتهم على المقاطعات الشرقية المتاخمة للهند إلى نقص ملحوظ في سك العملات الذهبية، لتتوقف تماماً مع الملك سلوقس الثاني (٢٦٥–٢٢٦ ق.م).

– كانت العملة السلوقية الموضوعة في التداول المحلي غالباً من الفضة وكانت تُسك حسب المعيار الأتيكي في أثينا.

– من أهم الظواهر في صناعة النقد السلوقية كانت ظاهرة القرون المنقوشة على رؤوس الملوك وأحياناً الخيول أو على رؤوس الفيلة.

– ترجع ظاهرة القرون إلى اعتبار القرون رمزاً للقوة المادية في المجتمعات الشرقية القديمة وخاصة الآسيوية منها، ولا أدل على ذلك من أن كثيراً من الكتب الدينية ترمز بالقرون إلى قوة عضلات شخص ما أو إلى شدة بأس إحدى الأمم أو إلى ملك قويّ واسع الملك. ويبدو أن الإسكندر الأكبر كان أول شخصية من البشر صورها الفن اليوناني بقرون.

– حظيت الفيلة بتقدير كبير لدى الملوك السلوقيين، لأنها كانت تمثل قوة بالغة الأهمية في الجيش السلوقي، وخاصة سلوقس الأول، ولعل تقدير سلوقس لقيمة الدور الذي قامت به هذه الأداة الحربية في أعظم انتصار أحرزه وهو انتصاره على أنتيجونوس وديمتريوس في موقعة إبسوس عام ٣٠١ ق.م كان السبب في تصوير الفيلة على الكثير من نقود هذا العاهل.

انتهت المحاضرة الخامسة